حضور الصلاة في الجماعة على قيام الليل كله مع ان قيام الليل فيه من المشقة ما هو معلوم لكن لما
كان ذلك القيام كله من جنس النفل وبان الامر اليه رفع الخلل في فضل من فضائل العمر وشاهد من هذا
عمر رضي الله تعالى عنه فلو قام من الليل بعضه ونام بعضه وحضر الصلاة في جماعة لكان من الاخذين
بالكمال ولم يدخل عليه بذلك غلبة في نقص فضيلة ولا غيرها فاذا اخذ المرء اولا نفسه بالتيسير والرياضة
في تجده انه حتى يصير له ما اخذ من ذلك عادة كانت العبادة عليه يسيرة لا مشقة عليه فيها حتى
يبلغ بها النهاية وهو كانه لم يزد على نفسه شيئا كما يروى عن ابن السماك رحمه الله تعالى وهو
من احد شيوخ الرسالة انه انتهت به نافلته الى ان كان مع بعضه الف ركعة في اليوم الوجه الثالث
منه قوله عليه الصلاة والسلام فسددوا وقاربوا قاربوا اي قاربوا الجد ولا تاخذوا الاخذ الكلي
الذي تطول به الى المشاددة فيغلبكم الدين وسددوا اي ليكن عمل كل شخص على ما تقتضيه بنيته
وطاقته ومزاجه ومن هذا الباب راح كثير من العباد لانهم ياخذون انفسهم اولا لان يعاندوا من
ليس مثلهم من اهل النهايات فياخذون ويسلكون مسلكهم فينقطع بهم في الحال عنهم لانه قد يكون
من اراد والتشبه به اكثر قوة في بدنه منهم واعدل مزاجا واخذ نفسه اولا فيما هو بسبيله من التعبد
الا بالتدريج في السلوك والترقي حتى صار له ما هو بسبيله من التعبد مزاجا كما حكيناه عن ابن
السماك ولهذا قال ابن ابي زيد رحمه الله الامام في الطريق حذر من حذر من اهل البدايات ان يتشبهوا
باهل النهايات فان هناك مقامات لم يحكموها فعلى هذا فالشان الذي يبلغ به المقصود ان شاء الله
تعالى ويكون صاحبه من اهل السداد ان يحكم اولا الخمس الذي فرض عليه وهو اليسير بواجباتها
ومندوباتها والمحافظة عليها فاذا رجع لذلك مزاجا اخذ اذ ذاك بالرفق والسداد على ما اشرنا
اليه في النوافل الوجه الرابع قوله عليه الصلاة والسلام وابشروا والبشارة هنا هي لمن زاد على
الفرض ولم يقتصر عليه لان الفرض قد جاء فيه ما جاء من الوعد الجميل في الكتاب والسنة في غير ما موضع
فان حملنا البشارة هنا على ذلك فهو تحصيل حاصل ويكون قد حملنا الالفاظ اجملة على معنى واحد
وليس ذلك بمرضي عند العلماء وانما يحمل كل لفظ على فائدة او فوائد دون غيره من الالفاظ فعلى هذا

ان وجد منها

ان وجد منها وجد لذلك سبيل ويكفي في ذلك دليلا قوله تعالى فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين
جزاء بما كانوا يعملون واذاك الا في النفل دون الفرض والبشارة هنا على تقسيم الاول هو انه اذا
اخذ بعد الفرض باليسير من النفل فليستبشر بالزيادة لمقتضى قوة البشارة حتى يبلغ ما امل من الاحوال
الشريفة والمنازل المنيفة بلا كلفة لان حقيقة البشارة لا تكون الا في المستقبل والبشارة بما قد وعد تحصيل
حاصل وانما سميت بشارة مجازا لا حقيقة وانما البشارة الحقيقية مثل ما تضمنه اخباره عليه الصلاة والسلام
لكعب بن مالك احد الثلاثة الذين خلفوا حين تيب عليهم فقال له عليه الصلاة والسلام ابشر بخير يوم
يوم طلعت عليك فيه الشمس هذه هي البشارة الحقيقية وهي خفية دقيقة لان ظاهر اللفظ قد
يستشكله السامع وقد استشكله بعض العلماء وقال كيف يكون هذا خير يوم طلعت عليه فيه
الشمس وقد تقدمه يوم اسلامه وهو خروجه من الكفر الى الايمان وهذا القائل قد توهم ان هذا
اشكال في الحديث وليس هذا باشكال وبيان ذلك انه اعقب يوم اسلامه بهذا الذنب العظيم
الذي استوجب به هجران النبي صلى الله عليه وسلم تسليما له والصحابة فلما تيب عليه هذه التوبة التي
علم النبي صلى الله عليه وسلم تسليما انها لا معصية بعدها اخبره عليه الصلاة والسلام بان ذلك خير
يوم طلعت عليه فيه الشمس عليه لانه لم يقع منه بعد ذلك معصية ولا مخالفة والتزم الصدق والعبادة
حتى قبضه الله تعالى على احسن حال فلو اراد النبي صلى الله عليه وسلم تسليما بالبشارة الماضي لقال له ابشر فقد
غفر لك وتيب عليك ويحصل بذلك الكفاية ولكن لما اراد عليه الصلاة والسلام البشارة في المستقبل اتى
بصيغة ما قد ذكر ولاجل ما فهم الصحابي من هذه البشارة خلع اذ ذاك ثيابه ولم يكن يملك غيرها
فاعطاها في البشارة لعلمه بعظيم ما بشر به وكل بشارة وردت من الشارع عليه السلام بهذه الصفة فالمراد
بها ما ذكرناه من مقتضى هذه البشارة ولهذا قال اهل السلوك فيمن بلغ بعض المنازل فدام عليه
باديه فانه يترقى الى ما هو اعلى منه فمتى دام على هذه الحال ابدا الى الترقي حتى يبلغ غاية المنازل
الرفيعة عملا منهم على مقتضى البشارة وهي ما ذكرنا الثاني هو انه اذا اخذ نفسه بتوفية
الفرض وما يتيسر عليه من النفل فدام على ذلك ولم يترك من عمله شيئا فنفس البقاء على ذلك زيادة

ولم يزد في عمله شيئا

Copyright © King Saud University